

ريح الجنوب

الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحريرية (1)

القدس، دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، تموز 2025

264 صفحة (بالعربية)

جيل النجار وعبد الرحيم الشيخ

ضد التاريخ، ضد الأرشفة: ترجمة وسجال في زمن الإبادة الجماعية (كتاب الجنوب 1)

القدس، دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، تموز 2025

190 صفحة (بالعربية)

قراءة: مجد يازوري، فلسطين

في 8 تموز من صيف العام 2025—وفي ظل الإبادة الجماعية الأكبر التي شنها الكيان "الإسرائيلي" على غزة منذ تشرين الأول/أكتوبر 2023 بعد 75 عاماً من نكبة العام 1948، والتي امتدت على شكل حرب وهجمات عدوانية متعددة الجبهات لتشمل بقية فلسطين المحتلة ولبنان وسورية واليمن وإيران، وهجمات على دول عربية أخرى—صدرت من القدس الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحريرية عن دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، التي تضم كذلك موقع باب الواد الإلكتروني، والجامعة الشعبية. وبقدر ما يحمل صدور هذه المجلة من رمزية خاصة ناتجة عن صدورها من فلسطين وفي هذا التوقيت بالذات في أكثر المنعطفات الحرجة التي تمرُّ بها القضية الفلسطينية، فإنها في محتواها السياسي والفكري والثقافي تحمل وعداً طال انتظاره بانطلاق مجلة عربية رصينة تجمع بين قضايا الشأن العام الفلسطيني والعربي والعالمي، والاختصاص المعرفي.

يتّضح هذا الوعد من تعريف الجنوب الموجز بنفسها بأنها "مجلة دورية تصدر عن دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي (وهي مجموعة تطوعية مستقلة للبحث والتعليم المجتمعي في فلسطين انطلقت في العام 2011 من القدس)، وهي مجلة لا تُشرى ولا تُباع، تنشر بطبعة محدودة في فلسطين، وبصيغة إلكترونية على موقع باب الواد. وتُعنى بالنتاجات والممارسات والسياسات في ميادين النظرية والمنهج والممارسة ذات العلاقة بالدراسات التحريرية والبحث المحارب فلسطينياً وعربياً وعالمياً، مع تركيز خاص على قضايا الجنوب

العالمي، والقضايا العابرة للجغرافيات السياسية. تركز **الجنوب** و**كتاب الجنوب** الذي يزامن أعدادها، بشكل خاص، على الصراع العربي-الصهيوني الذي تقع فلسطين في القلب منه."

وعلى الرغم من غنى افتتاحية العدد الأول بعنوان "الجنوب: الحقيقة والأوجه الغائبة" والمقال الافتتاحي بعنوان "بيان جنوبي تحرري من فلسطين: من أكتوبر 1492 إلى أكتوبر 2023" اللذين كتبهما على التوالي مثقفان فلسطينيان هما عبد الرحيم الشيخ وخالد عودة الله (وهما أستاذان جامعيان كذلك)، وأن النصين يشكّلان معاً بياناً معرفياً وثقافياً وسياسياً للمجلة، إلا إن تعريف **الجنوب** الموجز يحمل الكثير مما يمكن قراءته في المجلة وعن المجلة التي نأمل أن تستمر في مسارها المختلف والقائم على مبدأ العمل التطوعي سيراً على نهج التجمّع الفكري لدائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي. فهذا المسار، الذي يمكن ملاحظة بذوره في تعريف المجلة ومواد العدد الأول، يخبرنا أن هناك رغبة بإعادة النظر في المفاهيم الفلسطينية والعربية والعالمية، ولكن يمكننا كذلك ملاحظة التحديات التي ستواجهها هذه الرغبة الجادة، والتي تهدف هذه القراءة إلى رصد بعض منها "في ميادين النظرية والمنهج والممارسة."

المفهوم الأول، هو مفهوم "الجنوب" بحدّ ذاته، وهو المفهوم الذي اختارت المجلة أن يكون عنواناً لها. كان هذا المفهوم محور اهتمام أساسي وصريح خصوصاً في افتتاحية العدد ومقالها الافتتاحي، وبشكل ضمني في مواد العدد عموماً. صحيح أن هذا العدد هو تجربة أولى نجحت في الابتعاد عن الادّعاءات الكبيرة، لكن من الواضح أن مفهوم الجنوب بحاجة إلى مزيد من الحفر والاستكشاف والزراعة في فلسطين، ومن قبل الفلسطينيين تحديداً، لا لاستعادة مكانة فلسطين في الجنوب العالمي لأنها موجودة وبقوة، بل لتوسيع مكان فلسطين كموقع إنتاج معرفي في هذا الجنوب. إن هذا المفهوم قائم منذ زمن لا بأس به، وقد جمع هذا العدد كوكبة من التصوّرات التي بُني عليها المفهوم سواء من القرنين التاسع عشر والعشرين في ضوء الاستعمار الرأسمالي، أو من فترات أقدم تعود إلى سنة 1492 وما بعدها في سياق فهم معادلات المعرفة والسلطة والهيمنة الإمبريالية في الحداثة الغربية والعالم، وحتى من أزمنة ما قبل الحداثة وما قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية—أزمة العدالة اللقاحية التي سجّلها التاريخ العربي على الرغم من أنها لم تنتصر على نظامه السياسي والثقافي والسياسي القبلي. من عنوان العدد الأول "الحقيقة والأوجه الغائبة"، العبارة المقتبسة من الشاعر المصري أمل دنقل، يتبيّن أن المجلة تتيمّن بالمقاومة العربية في جنوب فلسطين وجنوب لبنان واليمن "ورياح كل جنوب"، ولكنها لا تسعى كما يبدو إلى جعل الجنوب مفهوماً فلسطينياً حصرياً على الرغم من بعض التوتّرات التي تشير إلى نوايا جنوبية هنا وهناك في مواد العدد الأول التي أبدى بعضها اهتماماً ضئيلاً بفكرة الجنوب. وما يعزز هذا الجانب أن المجلة تحدّث بشكل خاص إلى جمهورها الفلسطيني المحلي والمباشر، ويليهِ جمهورها العربي، مع تركيز أقلّ بطبيعة الحال على الجمهور العالمي بحكم لغة المجلة رغم أن العدد لا يغفل الروابط الجنوبية على هذا المستوى.

لكن هناك التحدي الذي سيلازم تبلور هذا المفهوم في أعداد المجلة المستقبلية وهو تثير مفهوم الجنوب كفعل سياسي وثقافي يتحمّل مسؤولية هائلة في التجريب والتحديث والمراكمة على الإرث الحضاري والنظري الغني

الذي يقوم على أرضية صلبة من التنظير والممارسة كما ظهر بشكل واضح في خيار المجلة نشر مادتين متتاليتين لكل من سمير أمين وفتحي الشقاقي وكأنه تذكير بإمكانية ناجحة لجعل التنوع الفلسطيني والعربي يتكلم بلغة جنوبية. كما يبدو في المجلة الماضي المشترك الذي يحمله الجنوبيون من فلسطين إلى لبنان ومن اليمن إلى العراق، ومن سجون الاستعمار في فلسطين إلى سجن الإمبريالية في أمريكا... حيث تتداخل الكلمات والمعاناة ورفض الهزيمة وإمكانية الأمل في نصوص متعددة تبدو كسجادة معدة لصلاة جنوبية (إن دققنا النظر مثلاً في التقاطعات القائمة في كتابات رنا بركات وأنمار ووسام الرفيدي وبلال سلامة تجاه عدم كفاية إطار الاستعمار الاستيطاني لتوصيف حالة فلسطين بين فكي الاستعمار الصهيوني والإمبريالية العالمية بمركزها الأوروبي، وسنان أنطون وعبد الجواد عمر بين مقاومة القمع ورفض الرغبة بالهزيمة، وباسم خندقجي وقسم الحاج وأماني سراحنة في معرفة السجن، وحوارية يوسف فارس ومنصور الناصرة حول جمالية غزة وبئر السبع التي تبقي جنوب فلسطين الذي يشع بالحياة رغماً عن الإبادة والتطهير العرقي). وعلى الرغم من ذلك فإن التحدي هو توسيع جنوبية الجنوب لتتجاوز حدود فلسطين، بحيث يكون المشروع عابراً للأجيال والحدود، ومتجذراً في فلسطين كجزء من امتداد أوسع مهما بلغت مركزيتها كقضية عدالة وتحرر كبرى في التاريخ العالمي، وأن يفهم تموضع فلسطين باعتباره انفتاحاً على إنتاج معرفة لعالم جديد، أو فلنقل لعالم آخر، كما تخيلته افتتاحية المجلة بتفاؤل حذر رغم تكدس التشاؤم في فلسطين والمنطقة العربية والعالم.

أما المفهوم الثاني فهو "المسؤولية" تجاه المهمة الأخلاقية في إحداث التوازن بين الثقافي والسياسي والمعرفي، أي مسؤولية المثقف في قول الحق في وجه السلطة الثقافية والمعرفية والسياسية. ومفهوم المسؤولية هو مفهوم قديم يبدو أن الجنوب تسعى إلى تقديمه في إطار يجمع بين مكوناته التي يعكسها مضمون المجلة الثقافية والمعرفي والسياسي الذي أنجزه في العدد الأول أكاديميون ومثقفون ومبدعون من فئة الشباب الذين يعتبرهم الفلسطينيون جيل النكبة الثالث، والسابقون لهم من أكاديمي ومناضلي جيل النكبة الثاني، ومن سبقهم من الجيل الأول أو من عاصر الجيل الأول للنكبة. في سياق فلسطين والعالم العربي والعالم اليوم، يبدو عنوان المجلة في عددها الأول، "الحقيقة والأوجه الغائبة"، محاولة لإقامة جسر بين هذه الأجيال المتوالية التي ذقت مرارة النكبة والنكسة والإبادة بأشكال مختلفة من الثورات والانتفاضات والهبات طيلة 77 عاماً من القضية الفلسطينية بين طرفيها اللذين شكّلهما تاريخ ممتد وذاكرة حية تتلازم فيهما صور المعاناة والمقاومة، وتعدد فيها أشكال التعبير عن هذه الصور.

وفي مقابل هذا المفهوم، يبرز التحدي المتعلق بترجمة المسؤولية إلى فعل ثقافي وسياسي ومعرفي ضمن الأشكال الكتابية التي ترصد الفعل الجماعي والاجتماعي—للفلسطينيين ومناصريهم من أشقائهم العرب والمتضامنين معهم من المنحازين إلى قضايا العدالة والحرية في العالم—وتدرسه وتسعى إلى توجيهه نحو الخلاص الوطني والإنساني لشعب لا يزال يحيا في ظل واحدة من أكبر المآسي التاريخية في مناهضة الاستعمار الصهيوني والإمبريالية العالمية. ولا شك أن تحويل المسؤولية من إحساس فردي إلى فعل جماعي سيكون امتحان الجنوب كتوجه ثقافي وسياسي ومعرفي لا ينحصر في إطار حزبي أو أيديولوجي، بل يتطلع إلى حشد الطاقات من مختلف الفاعلين

الاجتماعيين الذين يسعون نحو الحرية على خطى مجلات فلسطينية وعربية وعالمية خارج الاختصاص الأكاديمي والدعاية السياسية الحصرية. ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى طبيعة المجلة التطوعية، وشكل وصولها الإلكتروني المفتوح الذي يتجاوز أزمة التمويل، سواء كان مشروطاً أو غير مشروط كونها "لا تُشرى ولا تُباع"، الأزمة التي كانت للأسف عامل تلاشي مجلات ومنابر هامة سواء في فلسطين أو في البلاد العربية أو العالم في مراحل مختلفة من النضال ضد الاستعمار وما بعد الاستعمار في حقبة الاستقلال الوطني. وقد يكون صدور هذه المجلة عن تجمّع ثقافي-تعليمي-أكاديمي مجتمعي حرّ ضامناً للنجاح في تجاوز هذا التحدي.

وأما المفهوم الثالث فهو "التجاوز" الذي يجب أن يتّسع ليشمل تجاوز المفاهيم والنظريات والمناهج والممارسات السائدة في العالم القديم وطرق تفكيره. فكما ورد في افتتاحية المجلة وبيانها التحرري الجنوبي، يبدو أن **الجنوب** تكرّس نفسها لتكون تجربة تمرّد على ما هو قائم فلسطينياً وعربياً وعالمياً، وتجربة تواصل مع ما يشبهها من محاولات الخلاص في ظروف استعمارية وهيمانات مشابهة سواء في شمال العالم أو جنوبه. فالمجلة، من ناحية، لا تردّ على الأخيرة المفروضة بين ثنائية شرق/غرب، ولا تتفاعل مع تقسيم شمال/جنوب كصيغة نهائية، لأن هناك دلائل تشير إلى رغبتها في تجاوز الثنائيات الجامدة والهويات القاتلة. ولكنها، من ناحية أخرى، تتجاوز الحدود الأكاديمية التقليدية التي تبدو كقيود بالية سواء في تكريس الثنائيات أو تحديد أشكال الكتابة وقولها وخاصة في أن تكون الثقافة وسيلة لتبادل المعرفة، والمعرفة الأكاديمية بشكل خاص.

أمام هذا المفهوم، هناك التحدي المتعلّق بالاعتراف الذي لا يبدو أنه جزء من اهتمام المجلة السياسي لسببين: كونها صادرة عن تجمّع ثقافي-سياسي-معرفي مجذّر مجتمعيًا، وكون المشاركين في عددها الأول يُعرف عنهم جرائتهم الفكرية والسياسية سواء في الجامعات أو المؤسسات الأهلية أو الحركة الوطنية الفلسطينية. كما يتعلّق بهذا التحدي قدرة المجلة على تجاوز ما يعرف بحرّاس البوابات، سواء في المعارف السائدة في الإنسانيات أو العلوم الاجتماعية أو في المؤسسات الأكاديمية والبحثية التي تشغل في البحث والنشر في ذات الموضوعات التي أعلنت المجلة اختصاصها فيها كالدراسات الفلسطينية والتحررية والبحث المحارب والصراع العربي-الصهيوني. إن هذا الفكر الذي عليه الرهان لا زال قيد التكوين والتشكّل، ومن الطبيعي أن تتسرب إليه التوتّرات أو أن تكون كامنة فيه أحياناً على شكل رغبة أو حاجة إلى "الرد على السلطة"، لكن ذلك أيضاً هو جزء من المسؤولية التي يبدو أن **الجنوب** وضعتها نصب عينيه. وعلى الرغم من أن الطريق إلى "ما بعد" ليس واضحاً بعد، فإن بذور هذا الطريق تُزرع وتُمارس، كما هو الحال في أيّ رحلة فكرية، حتى عندما تظهر تلك التوتّرات في بعض النصوص. سواء في المقالات أو الدراسات أو حتى في "الإعادات" التي تعمل المجلة على إحياء منطلقاتها الفكرية والسياسية والأخلاقية أو على الأقل التذكير بها. فكيف يمكننا تخيّل "جنوب" في حوار مع فلسطين والفلسطينيين، وأن تكون فلسطين والفلسطينيون ميداناً للتعلّم والتعليم، دون أن يُعاد إنتاج فلسطين بوصفها "استثناء"؟ كيف نتجاوز "الغيتوهات الفكرية" التي كبّلت شعوب الجنوب عبر جغرافيات متعدّدة في الفكر والسياسة؟ يبدو أن هذا تحدياً هو تحدي **الجنوب**، حيث يكون الفكر ممارسة سياسية، وتكون فلسطين مركزها، لا باعتبارها ضحية، بل باعتبارها فضاءً للتلاقي الفكري/السياسي. قد يتطلب هذا نزع "استثنائية" فلسطين، وهو أمر صعب، ويظهر،

من خلال قراءة بعض المقالات، أنه مسار متقلب بين المدّ والجزر الذي يميّز مسار أيّ رحلة معرفية، ولكن هذه الرحلة متعدّدة المستويات ليست مسألة احتفال ولا تذكّار، بل هي سؤال فكري/ سياسي حقيقي وعميق غير مكتمل ولا يجب أن يكتمل. ومن الجدير بالملاحظة أن نزع الاستثنائية عن فلسطين اتخذ شكل زيادة منسوب التوتر في إظهار استثنائية أخلاقية من نوع ما، وهو يميز المفهوم الرابع الذي يظهر بوضوح في تقليد كتاب الجنوب، أو كتاب العدد، الذي غاب طويلاً عن مصاحبة المجلات الفلسطينية والعربية.

والمفهوم الرابع هو "السجال" الذي يظهر في مواضع مختلفة من مجلة الجنوب، سواء في الباب الذي يحمل نفس العنوان، أو في الدراسات والترجمات، ولكنه يظهر بشكل خاص في كتاب الجنوب المشترك لكل من عبد الرحيم الشيخ وجيل النجار بعنوان **ضد التاريخ، ضد الأرشيف: ترجمة وسجال في زمن الإبادة الجماعية**. لن تكفي الفقرة المخصصة ضمن هذه المراجعة لاستكشاف مجالات السجال المختلفة التي تظهرها هذه التجربة، ولكنها ربما تكفي لإظهار قيمة السجال وأهميته في هذه المرحلة تحديداً من النضال الفلسطيني وما يتوجّب أن يرافقه من ممارسات فكرية قادرة على "تصحيح مسار" المعرفة الفلسطينية المصابة أيضاً بأزمة مرآة التجربة الاستعمارية الصهيونية. لا شك أن السجال يمكن من التصديّ للأفكار الكبرى وإعادة فحصها من فلسطين—التي تستدعي بشكل متواصل "إسرائيل" سواء على مستوى السردية التاريخية أو الأطر النظرية أو المناهج البحثية أو الممارسة الفكرية بحدّ ذاتها—بغرض نزع ما يبدو من "مساواة" في هذا التلازم المرّضي الذي ينتهي دائماً لصالح الاستعمار. وبهذا المعنى، فإن كتاب الجنوب في طبعته الأولى يعكس محاولة مسؤولة لتجاوز الهوس، المرّضي أيضاً، بالأرشيف لدى الفلسطينيين الذين يرغبون في كتابة سرديتهم أو "حفظها" بالحدّ الأدنى. وبما أن الأرشيف يعدّ أحد أبرز الرموز التي تُظهر كيف ظلّ الفلسطينيون محاصرين في سجن الحداثة الاستعمارية، فإن **ضد التاريخ، ضد الأرشيف** (كنسخة أولى من كتاب الجنوب) يتناول هذا الطوطم مباشرة، ويقدم طراحاً جريئاً هو بمثابة تأطير فلسطيني في أوج إبادة غزة لتعقيب جيل النجار على أطروحة مارك نيشانيان بشأن الأرشيف في حالة الإبادة الأرمنية. فالكثير من المشاريع المعاصرة، ذات التصورات الخاطئة حول الأرشيفات في فلسطين، وكثير من الأدبيات المتعلقة بالأرشفة، محصورة في مفهوم "المحو" أو "عنف الاعتراف"، أو "الاستحالة البنيوية" الكامنة في الأرشيف والتي تجعله جزءاً مركزياً من اجتماع التحريف والانحراف التاريخي.

وبخلاف المفاهيم الثلاثة السابقة، فإن التحدي هنا يكمن في أن هذا الكتاب حين يجمع بين الترجمة والتقديم والسجال فهو يقدم نقداً فكرياً وسياسياً حاداً لمحاولة "الركض الموضعي" في الأرشفة الفلسطينية سواء على مستوى التنظير أو الممارسات الأرشيفية نفسها. بمعنى أن كتاب الجنوب في تجربة عملية أولى في مواجهة تحدّي السجال. للوهلة الأولى تبدو مقدمة الشيخ لترجمة النجار متساهلة بعض الشيء في نقدها المباشر لهذا الاتجاه الأرشيفي الفلسطيني كونها غير مكترسة لنقد التجربة بقدر ما هي مكترسة لتبيان خطر الأرشيف على الحقيقة في التجربة الأرمنية تحديداً، إلا أن الشيخ يقلب كلّ التصورات رأساً على عقب من خلال ترجمته وسجاله التراكمي والمركّب لنص النجار المنغرس في المفهوم الأنجلو-أوروبي للأرشيف بوصفه تاريخاً مكروساً لأشكال مختلفة من الإبادات. يبدو أن الشيخ يطلب من القارئ ضمناً أن يفهم أن "حمى الأرشيف" في السياق الأوروبي ليست مرضاً

فلسطينياً أو جنوبياً، مهما حاول البعض فرضها كذلك خلال العقدين الأخيرين، ولا يجب أن تكون كذلك. وهو يفعل ذلك بخطوة عكسية واستباقية من إبادة غزة، التي تزامن صدور **الجنوب** و**كتاب الجنوب** مع اشتداد أوجها، تبين أفضلية الحقيقة على الوثيقة، والواقع على الأرشيف حيث لا يمكن للحقيقة إلا أن تكون "الشهادة" والوثيقة هي "موت الشهادة"، وحيث لا يمكن للواقع إلا أن يكون الحياة والأرشيف هو "القبر". فمن خلال تركيزه على الفكر (في المقدمة وعلى امتداد الترجمة التي حاولت فكفكة نص عسير على المستويين النظري والسياسي)، يدعونا الشيخ إلى أن نرى ونفكر بما يتجاوز الحدود المفروضة، وهو طلب صعب لجمهور يعتمد اعتماداً مبالغاً فيه على المعرفة الأكاديمية التقليدية في حين أنهكه العنف الاستعماري مادياً ومعرفياً. ومع نهاية مقدمته السجالية، لم يعد طلب المواجهة والتجاوز مجرد دعوة فكرية، بل صار مسألة بقاء، ليغلق الشيخ بذلك الدائرة التحليلية عائداً إلى افتتاحية هذا العدد من **الجنوب** التي كتبها هو نفسه. وملاحظة أخيرة لا بد من الإشارة إلى أنه ومن نواح كثيرة يمكن قراءة هذا الكتاب بوصفه مقدمة وربما خاتمة مؤقتة لتجربة جعل المعرفة الفلسطينية مركزية في الأسئلة الجنوبية التي طُرحت في العدد الأول من **الجنوب**. أي أن الشيخ يسأل، بشكل غير مباشر: هل يمكننا أن نتخيل أنفسنا خارج سباق "أن نرى" من قبل القوى ذاتها التي تعمل على محونا؟ هل يمكننا أن ننتج معرفة جريئة تجعل من ذلك السباق ذاته أمراً غير ذي علاقة ولا جدوى؟ هنا تحديداً وفي هذا السؤال يكمن جوهر التحدي الذي تمثله مجلة **الجنوب** نفسها.

وأخيراً، هناك مجموعة من الأسئلة التي يثيرها هذا العدد التجريبي: كيف يمكن للفكر الصارم أن يفتح أفقاً جديداً للفلسطينيين وهم يصوغون تجربتهم الجنوبية في عالم جديد يشهد على إبادتهم الجماعية ويسمح بها؟ وكيف يمكننا فهم سياسات الاعتراف باعتبارها مصيدة وأن نتجاوزها بمسؤولية وتحذّر دون أن نقع في شركها؟ وكيف نستمر في إنتاج معرفة لا تعيد إنتاج هذا الفخ المنسوب لنا منذ البدايات الاستعمارية الأولى مع الحفاظ في نفس الوقت على الصرامة الفكرية والالتزام بالإيمان بأن هناك طرقاً أخرى ممكنة للمعرفة؟ قد تبدو هذه الأسئلة ترفاً زائداً عن الحاجة في زمن الإبادة، ولكنها قد تسمع كذلك صرخة من قلب الإبادة... ويبقى السؤال كيف يمكن لهذه الصرخة أن تستمر ليأتي الأمل؟ وكيف يمكن أن نجيب عن سؤال: من أين يأتي الأمل؟ لا شك أن إحدى الإجابات الممكنة التي تقدّمها لنا مجلة **الجنوب** هي: من فلسطين